الإهـــــــداء

إلى صاحب النسب الشريف المتصل بالحسين بن على وفاطمة ابنة النبى.

إلى من أخبرنا قبل رحيله بساعة أنه لاحق بربه فى ليلته التى قبض فيها.

إلى الأزهرى الذى تمنى أن يخرج من صلبه من يحمل علوم الأزهر.

إلى من كان آخر عمله فى الدنيا قراءة القرآن.

إلى روح جدنا العظيم الرجل الصالح والفقيه الشافعي.

فضيلة الشيخ عبدالهادى بن أحمد بن الشحات بن داوود بن حسين بن محمد القطان الحسينى.

برد الله مضجعه ونور ضريحه و قدس سره ورفع فى العالمين ذكره.

مقـــــدمــة

نشأت الدولة الفاطمية فى أول أمرها بالمغرب، وتطلعت بعد فترة ليست بالقليلة من قيامها إلى مصر بعد أن فشلت فى محاولاتها المتعددة بالنفاذ بمذهبها الشيعى إلى الأندلس، والتخلص من الحكم الأموى السنى بها.

وقد دفعها إلى جانب ما سبق عدة أسباب أخرى أغرتها بالتحول لمصر واختيارها مقراً لحكمها، ومركزاً تبث فيه مذهبها الشيعى الإسماعيلى، لينطلق منها إلى غيرها من الدول المجاورة باعتبار أن مصر رأس الحربة فى المنطقة، وعمود الخيمة الرئيس، ومن ثم كان من أهداف الفاطميين عند دخولهم مصر تحويل الشعب المصرى من مذهبه السنى الأصيل إلى مذهبهم الشيعى الباطنى الإسماعيلى، وقد تدرجوا فى سبيل تحقيق ذلك. فكتبوا لأهل مصر أماناً، أعلنوا فيه احترامهم للمذهب السني فى محاولة فاشلة لاستدراج أتباعه، ولكن سرعان ما انكشف زيف هذا الأمان، حيث بدأ جوهر الصقلبى فى تنفيذ مخططه الذى جاء به وكان مختمراً فى ذهنه سلفاً. فقد غير فقه أهل السنة بشأن رؤية الهلال، وهدد على ذلك، وضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي بدلاً من اسم الخليفة العباسي، ومنع الناس من لبس السواد شعار العباسيين، وأعلن شعار الشيعة فى الآذان، وزاد في الخطبة على عادة الشيعة.. (اللّٰهم صل على محمد النبي المصطفى، وعلى على المرتضى، وعلى فاطمة البتول، وعلى الحسن والحسين سبطي الرسول الذين أذهبت عنهم الرجس وطهرتهم تطهيرًا، اللّٰهم صل على الأئمة الراشدين، آباء أمير المؤمنين الهادين المهديين). كل ذلك بعد الأمان بأسابيع قليلة.

بدأت الدولة الفاطمية بنشر المذهب الشيعي فى عهد الخليفة العزيز بالله، وذلك عن طريق الوزارات تارة، والقضاء والمؤسسات الدينية تارة أخرى، ثم عن طريق الأزهر، الذى عين فيه العزيز بالله سبعة وثلاثين فقيهاً شيعياً.

وقد وضع الحاكم بأمر الله نظاماً دقيقاً لتحويل المصريين من مذهبهم السنى، – وبخاصه الموظفين منهم – إلى المذهب الشيعى إذ لابد، لكى يبقوا فى وظائفهم، أن يكون لهم على الأقل، ميول شيعيه، كما أنشئت "دار الحكمه"، كرمز للدعوه الشيعية. وأضيف إلى

الآذان: "حي على خير العمل"، وفرض على المصريين الاحتفال بيوم عاشوراء، وجعلوه يوم البكاء على الحسين، كما أُعتبر يوم "الغدير"، عيداً لابد من الاحتفال به، ثم أبطلوا صلاه التراويح، مما سبب الكثير من الفتن والخصومات بين الناس، وكان من نتيجه ذلك، أن ترك أكثر الناس الصلاة فى المساجد.

وقد سمحت الدوله الفاطمية بسب الصحابة، وهو ما تم فى خطبهم، وعلى جدران المساجد وفى الميادين ؛ وكانوا يميلون الى العنف ضد أهل السنه وعلمائهم، ومن ثم انتشرت الثورات ضد دولتهم، منذ لحظة تأسيسها، حتى انهيار أركانها.

وتكمن مشكلة هذه الدراسة فى ضرورة الإحاطة بفقه المذاهب السنية وكذا الفقه الشيعى الإسماعيلى والإمامى معاً للتعرف على حقيقة الدور الذى قام به أهل السنة من واقع كتب الفرق والمذاهب والنوازل، فضلا عن كتب التاريخ العام المتعارف عليها، وهو أمر لا يخفى على أحد صعوبته. أضف إلى ذلك أن عملية التعتيم الفاطمية على أهل السنة أدت إلى انزواء كثرة كاثرة من أهل السنة، وهو ما احتاج إلى مجهود كبير للكشف عنهم والتعرف على أثرهم وجهدهم.

وقد اعتمدنا فى هذه الدراسة على منهج استقرائى تحليلى، يعمد إلى تحليل الحدث السياسى، كما تم الاستعانة بالمنهج النقدى فى مناقشة الروايات التاريخية المختلفة والآراء الفقهية والعقدية، لترجيح رواية على أخرى، وتغليب رأى على آخر اعتماداً على الأصول والمصادر التى توضح ذلك. وأخيراً فقد كان للمنهج الإحصائى أهمية كبيرة فى الدراسة لما للأرقام من دلالات مهمة فى تفسير الظاهرة وطرحها بطريقة تروق للقارىء.

وفيما يخص أسباب الدراسة ومبرراتها فيمكننا أن نصيغها فى النقاط التالية:

أولاً: كان اختيارنا لموضوع الدور السياسى لفقهاء السنة فى مصر الفاطمية، والذى شاركنا به فى سمنار التاريخ الإسلامى والوسيط بالجمعية المصرية للدراسات التاريخية فى العام 2015م أثر كبير فى الاهتمام بدور أهل السنة وأثرهم فى المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى.

ثانياً: زاد من تعلقى بالموضوع أننا شاركنا فى نفس العام 2015م ببحث حمل عنوان: "الطائفة السنية بالإسكندرية فى مصر الفاطمية"، وذلك فى سمنار قسم التاريخ بكلية الآداب

جامعة عين شمس؛ وكان للحوارات والمناقشات عقب إلقاء البحث أثر كبير فى توجيهى لدراسة أهل السنة كفصيل قوى ومؤثر فى المجتمع فى مصر الفاطمية.

ثالثا: أوقفنا كتابنا: "أهل الظاهر فى مصر الإسلامية[1]" على بعض الشخصيات السنية المؤثرة، والتى لعبت دوراً مهماً على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما كان له الأثر الكبير فى القيام بهذه الدراسة.

رابعاً: أفادنا كتاب معجم السفر للحافظ السِلفى بالكثير من الشخصيات السُنية بالإسكندرية ومصر، والتى لعبت أدواراً مهمة فى العصر الفاطمى، وهو ما زاد من تصميمنا على مواصلة العمل فى هذا الموضوع، واستنفار همة الباحثين لا سيما طلبة الدراسات العليا بالعكوف على هذا الكتاب واستخراج النصوص الخاصة بأهل السنة منه، وتوظيف أدوارها فى المجتمع المصرى.

خامساً: اعتقاد بعض الدارسين والمثقفين أن الحراك السنى فى مصر الفاطمية كان باهتاً ومضبباً، وهو ما دعانا لإثبات خطأ ذلك الاعتقاد. لا سيما وأن الشعب المصرى حافظ على تسننه، وعند سقوط الخلافة الفاطمية لم ينتطح فيها عنزان على قول ابن الأثير، وهو ما أكد لنا تجذر المعتقد السنى فى نفوس المصريين.

سادساً: إبراز الأثر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والفكرى لأهل السنة فى المجتمع المصرى فى عصر الدولة الفاطمية من خلال حوارات أتباعها مع مخالفيهم وكذا الردود التى وقعت بينهم وبين غيرهم.فضلا عن الثورات والانتفاضات دفاعا عن معتقدهم السنى.

سابعاً: عدم تعرض الدارسين لهذا الموضوع من قبل، ومن ثم فالمكتبة العربية فى حاجة لدراسة تفصيلية عن أهل السنة خلال حكم الدولة الفاطمية بمصر.

وقد قسمت الدراسة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة:

اختص الفصل الأول: بالحديث عن وضعية أهل السنة بالمجتمع المصرى قبل دخول الفاطميين، مع إبراز الخريطة المذهبية بمصر قبل العصر الفاطمى.

---

[1] أوشكنا على الانتهاء من تنقيحه بحول الله تعالى ونأمل أن يرى النور قريباً.

واعتنى الفصل الثانى: بالدور السياسى لأهل السنة بمصر فى العصر الفاطمى.

وعالج الفصل الثالث: موقف أهل السنة من الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمصر فى العصر الفاطمى.

وناقش الفصل الرابع: الأثر الدينى والفكرى لأهل السنة بمصر فى العصر الفاطمى.

ورصدت الخاتمة: ما توصلنا إليه من نتائج وتوصيات.

وأخيراً آمل أن أكون قد قدمت شيئاً مفيداً بشأن هذا الموضوع، وأتمنى أن ينال هذا العمل إعجاب الباحثين والقراء والنخب المثقفة المتابعة بنهم لكل ما يصدر عن الدولة الفاطمية من مصنفات ودراسات وأبحاث، وأن يكون لبنة جديدة تضاف إلى المكتبة العربية والإسلامية بعامة، وإلى المكتبة التاريخية خاصة، والله تعالى أسأله التوفيق والسداد فى سائر أعمالنا.. إنه ولى ذلك والقادر عليه.

دكتور

عبد الباقى السيد عبد الهادى